

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[45] إلهي مهم: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)، فذكرهم النبي(عليه السلام) بقضية الشكر ومعطيائه والكفران وآثاره السلبية وذلك بعدما انتصروا على فرعون ونالوا الاستقلال وذاقوا طعم الحرية والعظمة وظهرت منهم بؤادر كفران النعمة. جملة "لأزيدنكم" فيها أنواع من التأكيدات، فهي وعد إلهي قطعي للشاكرين، بأنّه سيزيدهم من فضله، واللطيف في الأمر أنّ الله تعالى لم يخاطب كفّار النعمة بالقول: "لاؤذبنكم" بل قال: "إنّ عذابي لشديد" وهو نهاية اللطف والرحمة في دائرة التعامل المولوي تجاه المخلوقين، وفي نفس الوقت تهديد شديد ووعيد مخيف لكفّار النعم بأنّ عليهم أخذ العبرة من قصة بني اسرائيل عندما كفروا أنعم الله في "فتاهوا" في الصحراء أربعين سنة. في "الآية الثانية" يدور الحديث عن النبي سليمان(عليه السلام) وقومه، عندما اقترح عليهم أن يأتوه بعرش ملكة "سبأ"، فقال له أحد حواريه وكان عنده علم من الكتاب: (أنا آتريك به قبل أن يرتد إليك طرفك)، فشعر سليمان(عليه السلام) بالفرح يغمر نفسه لوجود مثل هذه الشخصيات في بلاطه ولديهم الروحانيات والمعنويات القوية، فقرر أن يشكر الخالق تعالى، فقال: (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَزيدُ لَهُ وَمَنْ كفرَ فَإِنَّمَا يَزيدُ لَهُ عَذَابِي عَظِيمٌ). والجدير بالذكر أنّ ثواب الشاكر ذكر في هذه الآية بوضوح، ولكن عقاب من يكفر بالنعمة ذكر بصورة غير مباشرة (وَمَنْ كفرَ فَإِنَّمَا يَزيدُ لَهُ عَذَابِي عَظِيمٌ) حيث ركزت الآية على كرم الله تعالى، وهو نهاية رحمة الله ولطفه في دائرة التخاطب مع الإنسان. ويمكن الاستفادة نقطة مهمّة أخرى من الجملة الانفة الذكر، وهي أنّ الله تبارك وتعالى يحذّر عباده من الكفر ويدعوهم للشكر لا حاجة منه إليهم، وحتى على فرض كفران النعمة فإنّه يفيض من كرمه ولطفه على الناس لعلّهم يرجعون عن غيّه ولا يحرمون أنفسهم من أنعم الله تعالى.